الفصل السابع
حكاية الفراغ
ومشروع أيزنهاور

obeikandl.com

obeikandl.com

الأسطورة الجديدة

الأسطورة الجديدة هي حكاية الفراغ .

وتقول صحف الغرب الغيورة أن فراغًا نشأ في الشرق الأوسط نتيجة لانهيار نفوذ بريطانيا وفرنسا في المنطقة وأن على الولايات المتحدة أن تتقدم لملء هذا الفراغ قبل أن يتقدم الاتحاد السوفيتي .

وكأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا !

وكأن كفاح أربع سنوات ونصف سنة منذ أن قامت الثورة إلى اليوم بما فيه الغزو لم يقنع الغرب أن مصر ترفض حكاية الفراغ وترفض نظرية مناطق النفوذ سواء للشرق أو للغرب أي سواء لروسيا أو لأمريكا .

ولماذا إذن كانت مصر تجشم نفسها كل هذا الكفاح ضد النفوذ البريطاني إذا كان سيأتي بدله نفوذ روسي أو نفوذ أمريكي ؟

إن منطق مناطق النفوذ وحكاية الفراغ مرفوضة من أساسها جملة وتفصيلاً .

فالفراغ كان في وجود بريطانيا في منطقة الشرق الأوسط لأنها جعلت من المنطقة بركانًا يغلي بدسائسها التي كانت تبذرها بين أمم المنطقة وشعوبها ولا تزال .

والفراغ كان في محاولة تضليل بريطانيا لشعوب المنطقة بإيهامها أن الخطر يأتي من الشمال ، في الوقت الذي كانت بريطانيا تغرس في قلب العرب خنجرًا مسمومًا هو إسرائيل ، لم تلبث بريطانيا أن استخدمته للقضاء على هذه الشعوب علنا وعلى مرأى ومسمع من العالم كله .

والفراغ كان في جشع بريطانيا الجنوني الذي دفعها إلى عمل يائس محموم قتلت فيه النساء والأطفال وهدمت فيه البيوت على العزل الآمنين لا لشيء إلا محاولة فرض إرادتها واغتصاب أرض الغير وأرزاقه ومقدراته .

والفراغ كان في بقاء إنجلترا ونفوذ إنجلترا ، فبالرغم من أنه كان يربطها بدول هذه المنطقة اتفاقات صداقة ، فإنها لم تتورع عن أن تدفع بإسرائيل لتعتدي على مصر ثم شنت هجومًا غادرًا وضعيفًا لتؤيد إسرائيل ضد ميثاق الأمم المتحدة ، وضد كل ما تعارف عليه البشر من قيم وخلق تمثلت في حقوق الإنسان .

ولا أدري أي فراغ هذا الذي تريد صحف الغرب من أمريكا أن تملأه ؟

فالفراغ الوحيد في هذه المنطقة كان هو إنجلترا ، وقد امتلأ ولله الحمد بانهيارها وإفلاسها وخروجها من المعركة ضعيفة هزيلة .

والفراغ سيعود من جديد إلى هذه المنطقة إذا ما فكرت دولة كبرى مرة ثانية في دخولها أيًا كانت هذه الدولة .

فنحن نرحب بكل صداقة شريفة ، ولكننا مصممون على قطع كل يد تمتد لنا بالسيطرة أو فرض الإرادة .

نحن نرحب بالتجارة الشريفة ، ولكننا سنسحق ذلك اللون من التجارة الذي يجلب معه النفوذ والسياسة .

ولن نرضى بغير المساواة التامة ، فسياسة مناطق النفوذ تعني بالنسبة لنا الحرب والكفاح وعبثًا يتخيل أحد أنه يستطيع أن يقرر مصيرنا بغير إرادتنا ، فلم تعد لندن وباريس تصلحان إلا لتقرير مصير إنجلترا وفرنسا لأنهما في حاجة إلى من يعينهما ويدافع عنهما .

أما نحن فسنقرر دائمًا مصيرنا شاءت لندن وباريس أم غضبتا .

ونحن أيضا لسنا في حاجة إلى حماية أحد ولا إلى التسول من أحد .

إن طريقنا واضح كالشمس ، ونحن لن نكون ذيلاً لأحد ، ولن ننحاز لأي من المعسكرين ، ولكننا سنصافح من يصافحنا وسنعادي من يعادينا .

وقد يكون من الخير أن نستجلي بعض النقاط بتوجيه بعض الأسئلة إلى الرئيس أيزنهاور قبل أن يصدر المرء حكمه على ما ورد في رسالته إلى الكونجرس .

إن الأمر يتعلق بأرضنا نحن ، وأمننا نحن ، وسلامنا نحن ، كما يتعلق بسلام العالم كله وأمنه ومستقبله .

يقول الرئيس أيزنهاور في البند الثالث من الإجراء الذي يقترحه ما يأتي :

« وسوف ينطوي في المقام الثالث على التفويض بأن تشمل هذه المساعدة وهذا التعاون استخدام القوات المسلحة للولايات المتحدة لضمان وحماية السلامة الإقليمية والاستقلال السياسي للأمم التي تطلب مثل هذه المساعدة ضد العدوان المسلح المكشوف من أية دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية ».

وهذا الإجراء غامض ويثير بعض الأسئلة :

فلنطبق الكلام على الواقع ونسأل :

إذا حدث وتعرضت مصر لعدوان جديد من جانب حلف الأطلنطي وإسرائيل ، تستخدم فيه أسلحة وعتاد ذلك الحلف وقواعد إسرائيل ، فماذا سيكون موقف الولايات المتحدة ؟

علمًا بأن العالم كله شهد مثل هذا العدوان في أكتوبر ونوفمبر سنة١٩٥٦ وإذا حدث مثلاً واعتدت إسرائيل على الأردن بمساعدة الطائرات ، والطيارين الفرنسيين ، والدبابات ، والمدافع الفرنسية ، وأسلحة وعتاد حلف الأطلنطي كما فعلت في أكتوبر سنة ١٩٥٦ مع مصر ، ووجد الأردن أن الأمر يدعو إلى الاستنجاد بدول العالم لمساعدته ضد مؤامرة مشتركة لكي يحافظ على استقلاله وسيادته الكاملة ، ثم حدث أن خفت إلى نجدة الأردن دولة أو دول من تلك التي وصفها الرئيس إيزنهاور بأنها تسيطر عليها الشيوعية الدولية .

فماذا سيكون موقف الولايات المتحدة ؟

علمًا بأن الرئيس إيزنهاور يقرر في بيانه بالنص :

« إن أمريكا تؤيد دون تحفظ السيادة الكاملة والاستقلال لكل دولة من دول الشرق الأوسط » .

وعلمًا بأن الأردن سيكون في حالة دفاع شرعي وطلب النجدة الذي سيطلبه من العالم سيكون من حكومته الشرعية ؟

هذا موقف .

وهناك موقف آخر أخطر من هذا لأن مثله حدث فعلاً .

فإذا حدث مثلاً أن وجهت بريطانيا إنذارًا إلى سورية قائلة : إنه إما أن تسمح سورية لبريطانيا باحتلال خط أنابيب البترول ومحطات تكريره في ظرف اثنتى عشرة ساعة ، وإما أن تحتلها بريطانيا بالقوة ، ثم رفضت سورية هذا الإنذار وبدأت بريطانيا الهجوم على سورية مستخدمة أسلحة حلف الأطلنطي وطياراته ودباباته وأساطيله ، وعندئذ وجدت سورية أن من حقها الشرعي ، أن تستنجد بدول العالم لصد هذا العدوان ، واستنجدت فعلاً

وكان أول من خف إلى نجدتها دولة أو دول من تلك التي وصفها الرئيس إيزنهاور بأنها تسيطر عليها الشيوعية الدولية ، فماذا سيكون موقف الولايات المتحدة ؟

علمًا بأن مثل هذا الأمر محتمل وقوعه بين لحظة وأخرى وحدث فعلاً من قبل في مصر .

وتحدث الرئيس إيزنهاور أيضًا عن التصريح الثلاثي الذي صدر في ٢٥ مايو سنة ١٩٥٠ .

والتعرض لهذا التصريح يجعلنا نسأل :

لماذا لم يطبق هذا التصريح الذي ينص على التدخل المسلح من جانب أمريكا إلى جانب الدولة المعتدى عليها في أكتوبر سنة ١٩٥٦ حين الاعتداء على مصر ؟

هل لأن العدوان كان على العرب مثلاً ؟

إن الأمر لازال يكتنفه الغموض ، وقد يكون في الإجابة على هذه الأسئلة جلاء لبعض هذا الغموض .

مشروع إيزنهاور وهذا العدوان

إن النساء والأطفال ماتت في اليـمن بفعل قنابل بريطانيا ، والمنازل دكت وهدمت في اليمن بفعل قنابل بريطانيا .

إن عدوانا وقع على الـيمن تعرضت فـيه حيـاة الآلاف من البشـر للقتل والدمار ، واليمن في الشرق الأوسط .

فما هو رأي أمريكا ، وما هو رأي المشروع الأمريكي الجديد ؟

أليس الشرق الأوسط اليوم يتعرض للعدوان ؟

أليس استقلال اليمن وسيادتنا يتعرضان للعدوان ؟

أليس هجوم بريطانيا بالطائرات والدبابات على المـدن اليمنية عدوانًا على بلد من بلدان الشرق الأوسط ؟

وهكذا يتعرض المشروع الأمريكي من أول لحظة لأقسى امتحان .

ومن قبل قلنا : إن الشرق الأوسط لا تهـدده دولة من تلك التي وصفها البيان الأمريكي بأنها تخضع للشيوعية الدولية وإنما هددته ولا تزال تهدده دول من الكتلة الغربية هي بريطانيا وفرنسا وربيبة الغرب إسرائيل .

ولقد أغفل البـيان الأمريكي تمامًا كل إشـارة إلى العدوان الذي وقع على الشرق الأوسط في مصر واعتبـر أن العدوان لا يأتي إلا من دول تسيطر عليها الشيوعـية الدولية ، وطبيعي إذن أن يكون العـدوان الذي وقع على اليمن من بريطانيـا ، حسب منطوق البـيان الأمريكي ، شيء لا قـيمـة له أو لا يعتـبر عدوانا على الشرق الأوسط برغم أرواح النـساء والأطفال التي زهقت وبرغم

الدمار الذي ينزل بمدن اليمن ومرافقه ومقدراته !

وهذا المنطق المقلوب يؤدي أيضًا إلى منطق آخر أشد انقلابًا حسب ذلك البيان .

فإن اليمن عليها ألا تستنجد بدول العالم لمساعدتها ضد عدوان بريطانيا خشية أن تستجيب دولة تخضع للشيوعية الدولية إلى نجدة اليمن فتعتبر اليمن في نظر أمريكا دولة شيوعية ويصبح من المتحتم حسب البيان الأمريكي هجوم أمريكا على اليمن !

وحسب البيان الأمريكي أيضًا فإن على كل دولة من دول الشرق الأوسط حين تتعرض لعدوان بريطانيا أو فرنسا أو إسرائيل أو الثلاث مجتمعة أن تترك نساءها وأطفالها يقتلون وبيوتهم تهدم لأن ذلك ليس عدوانًا في نظر أمريكا وإنما أمريكا تتحمس فقط عندما تهجم على الشرق الأوسط دولة من الدول التي تخضع للشيوعية الدولية .

ثم تأتي مسألة العدوان غير المباشر أيضًا التي وردت في البيان الأمريكي.

ويظهر أن أمريكا تريد أن ترث بريطانيا حتى في طريقة الصياغة اللولبية للألفاظ لكي يمكن أن تحمل في المعاني والتخريجات ما يلائم كل الظروف .

فما هو العدوان غير المباشر ؟

وماذا يطلق على المؤامرات التي تحيكها بريطانيا اليوم لشعوب الأمة العربية ؟

وماذا يطلق على تمويل فرنسا لإسرائيل بالسلاح ؟

وماذا يطلق على تمويل بريطانيا للمؤامرة ضد سورية ؟

وماذا سيكون موقف الولايات المتحدة إذا عقدت فرنسا محالفة مع إسرائيل ؟

هل يكون على العرب أن يحمدوا الله على أن العدوان لم يأت من دولة تخضع للشيوعية الدولية وإنما أتى ويأتي كل يوم من دول الكتلة الغربية ؟

إن أمريكا لم تحدد موقفها من العدوان الذي يقع على اليمن التي هي دولة من دول الشرق الأوسط وتتمتع بكامل السيادة والاستقلال إننا لا نستطيع أن نفهم البيان الأمريكي إزاء هذا الموقف .

وإذا صدقنا ما ورد في البيان الأمريكي ، فإن العدوان البريطاني ـ الفرنسي الأخير على مصر وعلى الشرق الأوسط يصبح عملاً مشروعًا لا عدوانًا مجرمًا ، ويصبح مبدأ حل المشكلات الدولية بالعمل الفردي عن طريق استخدام القوة أيضًا عملاً مشروعًا بعد أن استنكره العالم كله لأنه تطبيق لشريعة الغاب .

إن هناك حقائق ثابتة من العبث أن تتجاهلها أمريكا .

إحداها هى أن العدوان الوحيد الذي وقع في منطقة الشرق الأوسط حتى الآن جاء من جانب فرنسا وبريطانيا وإسرائيل ، اثنتان منها هما فرنسا وبريطانيا حليفتان تقليديتان لأمريكا فيما يسمى بعالم الغرب ، أما الثالثة ، وهي إسرائيل ، فهي تلك الدولة التي سعى ترومان رئيس أمريكا السابق إلى الاعتراف بها قبل أن تولد ، ثم تولت أمريكا إعاشتها حتى اليوم بالإعانات والهبات التي تزيد عن الستمائة مليون دولار سنويًا ، هذا بخلاف السلاح والعتاد .

ولا أظن أبدا أن أمريكا تجهل الحقيقة .

فلماذا إذن تحاول أمريكا خلق عدوان وهمي مما أسمته دولاً تخضع للشيوعية الدولية ضد الشرق الأوسط في الوقت الذي لم يقع على الشرق الأوسط إلا عدوان واحد هو عدوان حلفاء أمريكا وشركائها فرنسا وبريطانيا والربيبة إسرائيل ؟

وكيف يستطيع المرء أن يوفق بين استنكار أمريكا بالأمس للعدوان الفرنسي البريطاني الإسرائيلي وبين موقفها مما تعلنه اليوم ، ويعني أنها تستعد لكي ترتكب في الغد عملاً كالذي ارتكبه حلفاؤها بالأمس ؟

إن التفسير الوحيد لهذا التناقض لن يكون إلا أمراً واحداً ، هو أن أمريكا تريد أن تحتل نفس الوضع ونفس المكانة التي كانت لبريطانيا وفرنسا في هذه المنطقة ضد إرادة شعوب المنطقة وأهلها .

ولن يكون هذا التفسير إلا أن أمريكا تريد أن تكمل المعركة التي بدأتها فرنسا وبريطانيا ولم تستطيعا أن تصمدا فيها ، معركة مناطق النفوذ وفرض إرادة الدول الكبرى على الدول الصغرى بالقوة وضد إرادة الشعوب .

ولن يكون هذا التفسير إلا أن أمريكا تريد أن تقول لشعوب هذه المنطقة أنها قوى من روسيا ، لا عن طريق استخدام القوة وحدها وإنما أيضًا عن طريق الرشوة والدولار ؟

لماذا تلجأ أمريكا إلى هذه التصرفات التي ستنتهي بها على مر الأيام إلى ما انتهت إليه بريطانيا وفرنسا في هذه المنطقة ؟

وأين الحديث عن هيئة الأمم المتحدة وتأييد أمريكا لها ونداء أمريكا أثناء عدوان حلفائها على مصر بأن هذه الهيئة هي المرجع الوحيد لحل مشاكل العالم ؟

إن معنى المشروع الأمريكي أن تنفرد أمريكا بتحديد معنى السلم والحرب، وأن تنفرد أمريكا بتحديد معنى العدوان المباشر على الشرق الأوسط مما أسمته دولاً تخضع للشيوعية الدولية ، في الوقت الذي لم يعتد فيه على الشرق الأوسط عدوانًا مباشرًا إلا حلفاء أمريكا ، وفي الوقت الذي يصر فيه أيضًا حلفاء أمريكا على إثارة الفتن والتفرقة والدسائس في هذه المنطقة مما يقع تحت اسم العدوان غير المباشر .

ولم يذكر لنا هذا المشروع شيئًا لا عن عدوان حلفائه المباشر ولا غير المباشر بل أكثر من ذلك يتجاهل كل شيء بالنسبة لأي عدوان يأتي في المستقبل من جانب هؤلاء الحلفاء .

ومعنى المشروع الأمريكي أيضًا أن ما يسمي اعتداء هو ذلك الذي يأتي من دولة من دول الكتلة الشيوعية التي لا ترضى عنها أمريكا ، أما إذا جاء عدوان من دولة من دول الغرب على الشرق الأوسط كما حدث من بريطانيا وفرنسا فإنه لا يصح أن يسمى عدوانًا وإنما يصبح عملاً عاديًا تعود فيه أمريكا إلى الأمم المتحدة وإجراءاتها كما صرح بذلك دالاس في بعض تصريحاته .

إن أمريكا ستفقد في لمح البصر كل ما كسبته في موقفها الأخير ، وقد كان المنتظر أن تنتهج أمريكا بعد هذا الموقف سياسة أمريكية عادلة فجاء هذا المشروع مؤذنًا بسياسة أنكي من كل ما تؤمن به السياسة البريطانية الاستعمارية .

أبو جهل

وحسب مشروع إيزنهاور الجديد أن أمن الشرق الأوسط وسلامته يجب أن يضحي بهما من أجل أمن الولايات المتحدة .

فأمريكا تريد بمشروعها الجديد أن تحمي إسرائيل التي شنت الحرب في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ على مصر وجعلت من أرضها قاعدة لفرنسا وبريطانيا لكي يفرضا سيطرتهما الاستعمارية على هذه المنطقة بالقوة وضد إرادة شعوب هذه المنطقة .

ومعنى هذا أن المشروع الأمريكي يحمي العدوان من جديد ، وأمريكا تريد بمشروعها الجديد أن تجعل من الرشوة فضيلة ، والرشوة في الأرض وفي السماء رذيلة .

فأمريكا تعلم أن هذه المنطقة في حاجة إلى مساعدات اقتصادية ، ولكنها تغفل عن عمد أن سبب فقر هذه المنطقة هم أولئك الذين يصرون على إفقارها ولو بإعلان الحرب وتدمير المدن وقتل الأبرياء باستعمال أسلحة أمريكا، هم بريطانيا وفرنسا وحلفاء أمريكا التي تريد بمشروعها الجديد أن تحمي عدوانهما الماضي والمستقبل أيضًا .

ويجب أن تعلم أمريكا أن الشعوب ترفض هذا اللون من التفضل والاستعلاء في إعطاء المساعدات ، وأمريكا تضحك على نفسها إذا ما اعتقدت أن قبول حاكم من الحكام لمساعدتها يعني قبول الشعوب .

وفي كلام المستر دالاس يقول ردًّا على سؤال وجه إليه : إن أمريكا لم تفكر في إعطاء مساعدات لمصر وأن هذا يتوقف على مسلكها .

أي أن واهب الأرزاق دالاس جل جلاله سوف يتكرم على مصر بالمساعدة إذا ما أدت واجبات العبادة والركوع لسياسته السنية .

أو بمعنى آخر على مصر أن تثبت أنها جديرة برضاء قدس الأقداس دالاس لكي يمنحها دولاراته المباركة .

يقول دالاس هذا وهو يعلم أن مصر أعلنت رسميًا أنها لم تطلب ولن تطلب مساعدة من أمريكا .

ويقول دالاس هذا وهو يعلم أن لمصر خمسين مليونًا من الدولارات مالا حلالا مصريًا جمدته أمريكا إرضاء لبريطانيا وفرنسا اللتين اعتدتا على مصر واللتين اعترف دالاس أنهما كانتا تعدان خطط العدوان منذ وقت طويل قبل حدوثه وأنه علم بذلك .

ويقول دالاس هذا وأمريكا ترفض بيع القمح لمصر ، والقمح هو غذاء للشعب في الوقت الذي يعلن فيه بن جوريون أن صفقة الطائرات الفرنسية التي اشترتها إسرائيل كانت بعلم أمريكا وتأييدها وبركتها .

أي تخبط هذا ، وأي غرور هذا الذي يكمن وراء هذا المنطق وتلك التصرفات ؟

إن دولارات أمريكا كلها لا تكفي لشراء قطرة واحدة من سيادتنا ، والمستر دالاس واهم أشد الوهم إذا كان يعتقد أن الضغط الاقتصادي سيحقق له ما لم تحققه أسلحة حلف الأطلنطي عبى يد بريطانيا وفرنسا .

ففي العالم أصدقاء شرفاء يحترمون الاستقلال ويتعاملون بنظرية التعايش السلمي مع مصر ، وهم بحمد الله لا يتألهون عندما يتعاملون مع الشعوب الصغيرة .

وهم أيضًا لا يحمون العدوان ، ولا يعترفون بسياسة مناطق النفوذ .

فخير للمستر دالاس أن يفتح عينيه على الحقائق بدلاً من أن يعيش في الأوهام التي عاشت فيها بريطانيا وفرنسا ولم تصيبا إلا الخيبة والخسران .

وكلما أضاف المستر دالاس تفسيراً جديداً إلى مشروع أيزنهاور ، ازداد ذلك المشروع غموضًا وتعقيداً وغرابة .

والمستر دالاس يفسر الحرب بعد الجهد بالحرب .

إن آخر هذه التفسيرات هو ذلك الذي صدر عن المستر دالاس من أن ذلك المشروع لا يعتبر وجود متطوعين من دولة من دول الكتلة الشيوعية في أي بلد من بلدان الشرق الأوسط عدوانًا طالما أن السلطة الشرعية في ذلك البلد هي التي استدعتهم للدفاع عن استقلال ذلك البلد .

وإلى هنا كان يمكن أن يكون الكلام معقولاً ، ولكن المستر دالاس صاحب الألغاز والأحاجي يتمم تفسيره فيقول :

على أن يكون ذلك مشروطًا بأن يكون البلد الذي طلب المتطوعين قد وقع عليه عدوان فعلاً ، وألاَّ يتعدى هؤلاء المتطوعين حدود البلد الذي يساعدونه في الدفاع عن استقلاله وإلا كان ذلك عدوانًا يستوجب تدخل أمريكا المسلح .

ومعنى هذا الكلام وتلك الشروط هو ما يأتي :

١ ـ أن أمريكا نصبت على نفسها وليًّا ووصيًّا على دول الشرق الأوسط وتريد أن تفرض على هذه الدول الطريقة التي تعيش بها وتأكل بها ، لدرجة أنها حتى في حالة وقوع عدوان على بلد من المنطقة فإنها ترشده كيف يطلب المعونة وبأية شروط وإلا فإنها ستهاجمه هي الأخرى .

٢ ـ وحسب الشرط الأول ليس لبلد عربي إذا جاء إنذار فاجر قذر كالإنذار البريطاني الفرنسي أن يطلب معونة العالم بل على هذا البلد أن ينتظر حتى يقع العدوان فعلاً وتغير عليه طائرات حلف الأطلنطي وتضرب مدنه أساطيل حلف الأطلنطي وتموت نساؤه وأطفاله تحت أنقاض البيوت ، ثم يكون له بعد ذلك أن يطلب المعونة المشروطة .

٣ ـ وحسب الشرط الثاني فإن هذا البلد العربي المسكين الذي يكون قد تعرض لكل هذا الخراب والدمار بفعل أساطيل وجيوش وطائرات حلف الأطلنطي ، وطلب المعونة وسارعت إلى معونته بالمتطوعين دولة من الذين يطلق عليهم أنهم يخضعون للشيوعية الدولية ، فإن على هذا البلد بعد كل النكبات ألاَّ يسمح للمتطوعين بأن يدفعوا معه العدوان في قواعده ، بل داخل البلد المعتدى عليه فقط ، وبمعنى آخر إذا ما اتخذت بريطانيا وفرنسا إسرائيل قاعدة للعدوان على مصر كما حدث في أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، وسارع المتطوعون من الدول الصديقة إلى مصر لنجدتها ضد بريطانيا وفرنسا ، فإن على مصر أن لا تتعرض للقواعد البريطانية والفرنسية التي ترسل إلى مصر بالطائرات والأساطيل وإلا فإن أمريكا تتدخل بالسلاح مع المعتدين وضد مصر المعتدى عليها !

والأعجب من هذا كله هو أن مستر دالاس بهذا التفسير قد اعترف وأقر بمشروعية العدوان على دول الشرق الأوسط فإذا كان هذا العدوان من الكتلة الغربية فإن مستر دالاس لا يتعرض له وإنما يضع للدولة المعتدى عليها شروطا تطلب النجدة بمقتضاها وإلا هاجمتها أمريكا بالإضافة إلى الذين يهاجمونها من حلفاء الغرب !

أليس هذا التفسير سخرية أية سخرية !

إن الشرق الأوسط يعرف أعداءه يا مستر دالاس وهم ليسوا من الكتلة الشرقية بل هم بريطانيا وفرنسا وإسرائيل حلفاء وشركاء أمريكا في الغرب والأطلنطي ، وفرسان مؤامرة أكتوبر سنة ١٩٥٦ .

إن الذين يبيعون للشعب المصري القمح ليسوا هم أعداءه يا مستر دالاس.

والذين يقفون إلى جانب العرب وقت المحنة ليسوا هم أعداء العرب يا مستر دالاس .

والذين لا يجمدون أموال الشعب المصري بل يبيعونه السلاح لكي يدافعوا عن أوطانهم ليسوا هم أعداء العرب ولا أعداء مصر يا مستر دالاس .

ولن تخيف مظاهرات القوة أحدًا يا مستر دالاس .

ولن تفيد الحرب الباردة مع أحرار صمموا على الحرية يا مستر دالاس .

وقد نشرت جريدة «هيرالد تريبون» تعليقًا للمعلق السياسي «دافيد لورنس» روى فيه حديث المستر دالاس في الجلسة السرية أمام لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس .

وحين يتحدث المستر دالاس عن أمريكا وشئون أمريكا في جلسة سرية أو علنية ، فإن هذا أمر يخصه ويخص بلاده .

أما إذا تحدث المستر دالاس عن مصر في جلسة سرية أو علنية ، أمام أية هيئة في بلاده أو خارجها ، فإن هذا أمر يخصنا نحن في مصر ويحق لنا أن نصحح للمستر دالاس معلوماته التي تحتاج دائمًا إلى التصحيح .

لقد تحدث المستر دالاس أول ما تحدث في الجلسة السرية عن مشروع تقديم المساعدات المالية لمصر ، فقال :

« ليس هناك أي مشروع لتقديم مساعدات مالية لمصر في الوقت الحاضر، ولكننا نأمل أن تتحرر مصر من النفوذ الشيوعي خلال عام أو عامين ، ومن ثم تصبح مصر أهلاً للمساعدة ! ».

وأول ما نرد به على موزع الأرزاق دالاس ، هو سؤال بسيط :

لماذا اختار لكلامه هذا جلسة سرية بدلاً من جلسة علنية ؟

كنت أريد من المستر دالاس أن يكون شجاعًا فيدلي بآرائه في العلن بدلاً من أن يستتر وراء الجدران .

فمصرلم تطلب مساعدة أمريكا ، ولن تطلب مساعدة من أمريكا ، هذا كلام صدر في بلاغ رسمي مصري قبل أن يدلي دالاس بآرائه خلف الجدران.

فلماذا يصر المستر دالاس على التفكير في حال مصر ، وأهليتها وعدم أهليتها للمساعدة ، إذا كان كل حجر في مصر يرفض بل يستنكر مثل هذا التهجم على مصر باسم المساعدات ؟

ثم ، ما هذا الجهل الذي لا يفتأ يردده المستر دالاس عن النفوذ الشيوعي في مصر ؟

لقد كان الأجدر بالمستر دالاس أن يتكلم علنًا لكي يرد عليه العالم كله معنا .

الآن مصر اشترت بحر مالها سلاحًا من الكتلة الشرقية من غير قيود بل عن طريق تجارة حرة شريفة لكي تدافع عن نفسها ضد عدوان ربيبة الغرب إسرائيل ، تصبح مصر خاضعة للنفوذ الشيوعي ويحرض عليها المستر دالاس قواته بعد أن فشلت قوات حلفائه ؟

أم أن مصر لكي لا تكون خاضعة للنفوذ الشيوعي في نظر الإله دالاس جل جلاله كان يجب عليها أن تبيع استقلالها وسيادتها لأمريكا وبريطانيا ، فتسلم لها في أرضها وتدخل أحلافهما وتسلم لإسرائيل صنيعتهما وتركع أمام عدوانها المسلح بأسلحتهما ؟

والشعب المصري الذي يتحدث عنه المستر دالاس .

أليس هذا الشعب هو الذي عاقبه المستر دالاس في يوليو سنة ١٩٥٦ بالانسحاب من تمويل السد العالي الذي سيجلب له الرخاء ؟

أليس هذا الشعب هو الذي عاقبه المستر دالاس بتجميد أرصدته مجاملة لفرنسا وبريطانيا المعتديتين المجرمتين ولا زال يجاملهما على حسابه حتى اليوم؟

أليس هذا الشعب هو الذي عاقبه المستر دالاس بتجويعه فرفض أن يبيع له القمح أخيرًا ؟

ما لك وللشعب المصري يا مستر دالاس ؟

ولماذا يخيفك جمال عبد الناصر فتفقد وعيك وصوابك ؟

إنني مشفق عليك يا مستر دالاس من مصير ابن عمك الراحل إيدن ، ولقد كانت لإيدن على الأقل جرأة في وقاحة .

أما أنت فإنك تختفي وراء الجدران وأنت تتحدى الرجال .

الفراغ...وحكايتان

« والفراغ » تعبير استعماري كريه تلجأ إليه بعض الدول لكي تخفي نواياها في السيطرة وفرض الإرادة .

ولقد التقيت بهذا التعبير مرتين ، المرة الأولى حين كنت أتصفح محاضر جلسات المفاوضات المتعددة التي عقدت بين مصر وبريطانيا في مختلف العهود .

كانت بريطانيا تحتج دائمًا بكلمة «الفراغ» لكي تظل قواتها تحتل مصر ، ولو سلمنا نحن بهذه النظرية لظلت جنود بريطانيا إلى يوم القيامة تحتل أرض مصر .

وكان تحليل بريطانيا لهذه الكلمة وقتها هو أن جلاء الجيوش البريطانية عن أرض مصر يستلزم أن يكون لدى مصر جيوش تماثلها قوة وعتادًا لكي تأخذ مكان الجيش البريطاني وإلا حدث «فراغ» بعد الجلاء .

وفي نفس الوقت الذي يقولون فيه ذلك يمنعون عن جيش مصر السلاح بمختلف الحجج لكي يظل ضعيفًا وبذلك تكمل الحلقة المفرغة ، أي لا جلاء إلا بعد أن يتقوى الجيش المصري وهم لن يسمحوا بتقويته أبدًا لأن التسليح في يدهم فتظل الجنود البريطانية إلى الأبد تحتل أرض مصر !

أما المرة الثانية التي التقيت فيها بهذا التعبير فكانت يوم ٢٦ يوليو سنة١٩٥٢ .

وفي هذه المرة سمعت نفس الكلمة لمعنى آخر ولكنه معنى استعماري خبيث .

فإنه بعد أن عرفت الأسكندرية في حوالي الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم أن فاروق قد أمضى وثيقة التنازل عن العرش ، بدأت وفود المهنئين تتقاطر على القيادة العامة في مصطفى باشا .

وفوجئنا بالسفير البريطاني بالنيابة يطلب الزيارة ، ثم جاء هو والملحق العسكري البريطاني ، وما أن جلس حتى أخرج عن جيبه ورقة أخذ يقرأ محتوياتها علينا .

بدأت هذه الورقة بالتهنئة طبعًا ثم تلا ذلك قراءة بعض النصائح التي توجب الصداقة بين البلدين على بريطانيا أن تقدمها لمصر في هذه الظروف كنص تعبير السفير البريطاني بالنيابة !

وكانت هذه النصائح عبارة عن الآتي :

١ ـ أن يفرض حظر التجول في الأسكندرية خوفًا على حياة الأجانب .

٢ ـ أن يشكل مجلس وصاية على العرش حتى لا يكون هناك «فراغ» .

٣ ـ أن يحترم حق أسرة محمد علي في ولاية العرش .

وأذكر أننا ظللنا في ذلك اليوم نضيق الخناق على السفير البريطاني بالنيابة بعد أن رفضنا هذه الطلبات جملة وتفصيلاً ، لأنها من الأمور الداخلية لمصر حتى اضطر السفير البريطاني بالنيابة أن يعتذر ويعلن أن الحكومة البريطانية لم تكلفه بهذه الرسالة على الإطلاق وأن ما دفعه إلى تقديم هذه النصيحة هو الصداقة فقط ، وأخيرًا طلب منا أن ننسى هذا الموضوع كلية وانسحب مشيعًا بالاحتقار .

أعود إلى تعبير «الفراغ» فإنه في البند الثاني من نصائح بريطانيا يومها

كانت نتيجة تشكيل مجلس وصاية لكي لا يحدث «فراغ» .

ولم يتضح يومها هدف بريطانيا الحقيقي من هذا الطلب وقلنا : إنهم يخشون من إقامة الجمهورية في مصر .

إلا أنه حدث بعد ذلك بشهر وبعد أن وصل السفير البريطاني من أجازته أن أفصح عن نية بريطانيا .

لقد كانت بريطانيا تريد تنصيب الأمير السابق محمد علي بن توفيق الخائن وعميل الإنجليز رئيسًا لمجلس الوصاية أو وصيًا وحده على العرش .

ومعنى هذا أن يكون رأس الدولة تحت سيطرتهم وعميلاً من عملائهم .

وهذا لون آخر من ألوان استعمال كلمة «فراغ» !

واليوم أخشى أن تقع أمريكا في نفس أخطاء بريطانيا التي نسفتها وقذفت بها إلى أسفل سافلين .

فيجب أن تعرف أمريكا وتحدد معنى كلمة الفراغ بدلاً من أن تستعير تعاريف بريطانيا لهذه الكلمة .

فالفراغ الوحيد الذي كان في الشرق الأوسط هو الدس والمؤامرات التي كانت تحيكها بريطانيا للإيقاع بين شعوبه وبين أبناء البلد الواحد .

والفراغ الوحيد الذي كان فيه الأردن مثلاً هو جلوب والمعاهدة وقد ذهبا وامتلأ الفراغ بأبناء الأردن وبالأسلحة العربية غير المقيدة بشروط .

والفراغ الوحيد الذي كان في مصر هو الاتفاقية المصرية البريطانية التي جلبت على مدنها القنابل البريطانية وقتلت نساءنا وأطفالنا باسم الصداقة وقد ذهبت هذه الاتفاقية إلى الجحيم وانسد الفراغ إلى الأبد .

والفراغ الوحيد الذي كان في سورية هو المؤامرة التي تصنعها بريطانيا وعملاؤها لتمزيق الوطن السوري وتوزيعه على إسرائيل وتركيا ، وقد قضت سورية على هذه المؤامرات في مهدها وهى على أتم استعداد للقضاء على الجديد منها .

لقد ظلت بريطانيا تتوسل بنظرية الفراغ حتى دمرت مصالحها ومركزها نهائيًا في الشرق الأوسط .

وبريطانيا اليوم تحيك المؤامرات في محاولة يائسة لكي تستعيد سمعتها ومركزها ولكنها على العكس من ذلك تتردى في الفشل والفضيحة والعار كل يوم . . .

وليس عندنا فراغ في الشرق الأوسط بعد أن انسد بدفن النفوذ البريطاني المتآمر إلى الأبد .

والذي عندنا اليوم في هذه المنطقة هي إرادتنا وتصميمنا على التحرر والمحافظة على سيادتنا كاملة .

لدينا اليوم صداقة فقط ، من يريدها يجب أن يكون شريفًا ، ومن يحاول التلاعب بها فلينتظر مصير بريطانيا ، وبئس المصير .